التراث الإنسانية
NYROUF

# كتاب سيبويه

## محمد على النجار

الهيئة
المصرية
العامة
للكتاب

مهرجان القراءة للجميع ١٩٩٥

# مهرجان القراءة للجميع ٩٥
## مكتبة الأسرة
## برعاية السيدة سوزان مبارك

(تراث الإنسانية)

الجهات المشاركة :

جمعية الرعاية المتكاملة

وزارة الثقافة

وزارة الإعلام

وزارة التعليم

وزارة الحكم المحلى

المجلس الأعلى للشباب والرياضة

التنفيذ : هيئة الكتاب

الانجاز الطباعى والفنى
محمود الهندى

المشرف العام
د. سمير سرحان

# كتاب سيبويه

## محمد على النجار

---

بدىء البحث النحوى فى النصف الثانى من القرن الأول الهجرى . وقد كان مهد النحو البصرة ، اذ كثر اختلاط العرب بالعجم فيها وفشا اللحن ، فرئى محافظة على العربية أن يوضع ما يعصم الناس عن اللحن ويكون حفاظا على هذه اللغة الشريفة . وكان البحث فى النحو أولا بحثا فى بعض الأساليب العربية ، كأسلوب التعجب وأسلوب كان وان والفاعل والمفعول .

وسار النحو فى سبيل التقدم ، وظهرت طبقة أولى من علماء النحـــو يذكر فيها ـ على ما عند الزبيدى ـ أبو الأسود الدؤلى وعبد الرحمن بن هرمز ، وطبقة ثانية ، منها نصر بن عاصم ، ويحيى بن يعمر ، وطبقة ثالثة ، منها عبد الله بن أبى اسحاق الحضرمى ، وطبقة رابعة ،

منها أبو عمرو بن العلاء ، والأخفش الكبير أبو الخطاب شيخ سيبويه ، وطبقة خامسة ، منها الخليل ابن أحمد ، ويونس بن حبيب ، وحماد بن سلمة شيوخ سيبويه ، وطبقة سادسة ، منها سيبويه ، وأبو الحسن الأخفش سعيد بن مسعده .

فهذا تاريخ النحو فى البصرة الى عهد سيبويه .

فأما الكوفة فيبدو أن الحاجة فيها الى النحو لم تكن كالحاجة فى البصرة ، لقلة العجم فيها لبعدها عن بلاد الفرس ، ولم تكن كالبصرة فى ذلك . وكان اهتمام الكوفة بالقرآن وعلومه والفقه وما يتبعه . ومن ثم كثر فى الكوفة الفقهاء والقراء كعاصم وراوييه : حفص وشعبة ، وحمزة والكسائى وخلف . ولا ترى فى البصرة من قراء العشرة سوى أبى عمرو بن العلاء . ويعقوب بن اسحاق الحضرمى ، وقد ترى الحسن البصرى من قراء الأربع عشرة .

على أن الكوفة التفتت أخيرا الى النحو . وكان من أوائلهم أبو جعفر الرؤاسى ، وقد أخذ عن يونس الذى هو من الطبقة الخامسة من نحاة البصرة ، وجاء بعده الكسائى والفراء ومن تبعهما .

فيرى من هذا أن النحو عريق فى البصرة ، وأن نحاة الكوفة أخذوا عن نحاة البصرة ، بعد أن كاد النحو ينضج فى البصرة ويتسق أمره .

وقدر لنحاة الكوفة الاتصال بالسلطان فى عهد الكسائى والفراء اللذين كانا فى عصر سيبويه .

وقد ترك لنا سيبويه الكتاب فى نحو البصريين فخلد الى يومنا هذا ، وكان كتاب النحو الجامع ، حتى قيل فيه : قرآن النحو ، وكان للكوفيين كتب فى النحو لم يبق لنا منها شىء .

وسأخصص هنا مبحثين . الأول فى حياة سيبويه ، والثانى فى كتاب سيبويه ، ثم أتبعهما نماذج من الكتاب .

## ١ ـ سيبويه

هو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثى . وهى نسبة الى الحارث بن كعب : قبيلة يمنية . وهذه النسبة بالولاء ، فقد كان سيبويه فارسيا . والظاهر أنه ولاء بالاسلام ، أى أن أحد أجداده من الفرس أسلم على يد رجل من هذه القبيلة . وقد يكون أول من أسلم من آبائه قنبر . وقد يكون ذلك فى عهد أمير المؤمنين على رضى الله عنه ، فسمى بقنبر مولاه ، وقد كان لمعاوية رضى الله عنه مولى اسمه قنبر ، ولكن الأشهر الأول . ونرى ضبط قنبر كجعفر . ونرى فى التاج أن جد سيبويه يضبط بضم ثم فتح وسكون . وظاهر هذا أن الضم للقاف والفتح للنون هكذا ( قنبر ) ولكن الذى ينبغى أن يفهم أن فى القاف

الضم والفتح ، غير أن الضم أعلى فيه ، فأما النون فساكنة البتة . ويدل لذلك قوله : « ووهم شيخنا فضبطه بالضم فقط ونبه عليه ، وهو يوهم أنه كقنفذ » فشيخه ضبط القاف بالضم فقط ، وجعله الزبيدى وهما ، والصحيح عنده أن فيه الفتح أيضا ، وهما للقاف . ويقول الزمخشرى :

ألا صلى الاله صـــلاة صدق
على عمرو بن عثمان بن قنبر

فأما لقبه ( سيبويه ) فهو لقب فارسى مركب مزجى من سيب أى التفاح وبوى أى الرائحة ، فمعناه رائحـــة التفاح ، على قاعدة الاضافة فى اللسان الفارسى . قيل : سمى بذلك لطيب رائحته أو لجماله وحسن خلقه . وقيل : مركب من سيب ، وويه اسم صوت . ويذكر بعض العارفين باللسان الفارسى أن ويه فى هذا اللســـان معناها مثل وشبه ، فمعنى التركيب : مثل التفاح . وهكذا نفطويه : مثل النفط ، وعمرويه : مثل عمرو . وورد فى ملوك الفرس شيرويه ، وهو الذى قتل أباه .

والجارى على الألسنة سيبويه بفتح الباء والواو والهاء مكسورة . وقد ينطق سيبويه بضم الباء وفتح الياء وسكون

الهاء ، ويعزى هذا الى العجم ، تجنبوا الصورة الأولى لأن ( ويه ) صوت ندبة • ويعزى أيضا الى المحدثين فى كل اسم بهذه الصيغة • « وانما (١) عدلوا الى ذلك لحديث ورد : أن ويه اسم شيطان » وقد جاء من هذا قول ابن بسام فى نفطـــويه :

بأن حوا أمهم طالق ان كان نفطويه من نسلى

وضم الهاء كما ترى ، والأصل السكون •

وقد جاء فى الكتاب (٢) حكم سيبويه وأمثاله فى العربية ، فهو يقول : « وعمرويه عندهم بمنزلة حضرموت فى أنه ضم الآخر الى الأول • وعمرويه فى المعرفة مكسور فى حال الجر والرفع والنصب غير منون • وفى النكرة تقول : هذا عمرويه آخر ورأيت عمرويه آخر » وتراه اقتصر على النطق المشهور عند الناس •

مولده ونشأته : ولد سيبويه فى البيضاء من كورة اصطخر بفارس من أبوين فارسيين • ولا يعرف على وجه اليقين تاريخ ولادته ، اذ حصل اختلاف فى عمره وفى سنة وفاته • وقد انتقل الى البصرة فتلقى العلم فيها •

---

(١) البغية ١٨٧ •

(٢) ج ٢ ص ٥٣ •

وكانت هى والـــكوفة المصرين المبرزين فى علوم العربي
والـدين .

ولا نعرف شيئا عن أسرته الا ما ذكر أنه مات بي
يدى أخيه . ولا ندرى هل انتقلت معه الى البصرة أسرته
ونحن لا نرى لأبيه ذكرا . ونرى (٣) بشارا يهجوه حي
اشتهر أمره فيقول :

ظللت تغنى سادرا فى مساءتى
وأمك بالمصرين تعطى وتأخـــذ

ويظهر من هذا أن أمه كانت مع ابنها فى العراق
ولا ندرى هل تزوج . وفى حديث (٤) للفراء . أن سيبو
كانت له جارية تخدمه . وفى طبقات (٥) النحاة لابن قاض
شهبة أن جاريته مزقت جزازات كتابه فطلقها . فهل يري
بجاريته زوجته ، أو يريد بتطليقها اخراجها من بيته وبيعها
والظاهر أنه لم يكن له زوج ولا ولد . وآية ذلك أنه بع
أن أخفق فى بغداد فى قصته مع الكسائى ــ على ما يأتى
لم يعد الى منزله بالبصرة ، وعمد قاصدا الى فارس .

وقد كان اتجاهه اذ أخذ فى طلب العلم الى علم الحديث

---

(٣) الأغانى ( الدار ) ٣ ــ ٢١٠ .
(٤) معجم الأدباء ١ ــ ١٣٨ .
(٥) ج ٢ ص ٢١٠ .

والرواية • وكان حماد بن سلمة شيخ الحديث والرواية فى البصرة فى عصره • ويقول (٦) فيه أبو محمد اليزيدى :

يا طالب النحو ألا فابكه  بعد أبى عمرو وحماد

وهو يريد أبا عمرو بن العلاء • فاختلف سيبويه الى حماد يقرأ عليه الحديث ويرويه عنه • وحدث أن سيبويه كان يستملى عليه يوما فألقى عليه حماد الحديث (٧) : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما من أحد من أصحابى الا وقد أخذت عليه ليس أبا الدرداء ، فقال سيبويه ــ وكان قد شدا طرفا من النحو : ليس أبو الدرداء • فقال حماد : لحنت يا سيبويه • فقال سيبويه : لا جرم لأطلبن علما لا تلحننى فيه أبدا ، واتجه لدرس النحو فلزم الخليل • وقد ظن سيبويه أن الواجب رفع ما بعد ليس ليكون اسما لها ، ولم يكن عرف أسلوب ليس فى الاستثناء • وقد عرض سيبويه لهذا الأسلوب فى الكتاب ١ ــ ٣٧٦ وأشبعه بيانا وتعليلا • ومما يحكى فى ذلك أن سيبويه جاء يوما الى حماد بن سلمة فقال : أحدثك هشام بن عروة عن أبيه فى رجل رعف فى الصلاة ــ بضم العين ــ ؟ فقال حماد : أخطأت انما هو رعف ــ بفتح العين ــ فانصرف سيبويه الى الخليل فشكا اليه ما لقيه من حماد • فقال : صدق حماد ، ومثل

---

(٦) تهذيب التهذيب ٣ ــ ١٣ •

(٧) جاء هذا الحديث فى الجامع الصغير فى شأن أبى عبيدة بن الجراح ، مع تغيير فى بعض الالفاظ •

حماد يقـــول هذا . قال الزبيدى (٨) : « ورعف لغة ضعيفة » .

ومما يذكر فى هذا الحديث أن الكسائى (٩) كان سبب اقباله على العربية أنه كان يجلس الى قوم من العرب يتحدث معهم ، فجاءهم يوما وقد تعب فقال : قد عييت . فقالوا أتجالسنا وأنت تلحن ! فقال : كيف لحنت ؟ فقالوا : ان كنت أردت انقطاع الحيلة والتحير فى الأمر فقل : عييت مخففا . وان كنت أردت التعب فقل : أعييت . فقام من فوره ، وطلب العربية حتى صار اماما فيها .

وقد عمد سيبويه بعد هذا الى النحو يأخذه عن أئمته ، ولا سيما الخليل . ويظهر أنه كان لا يرى فى حماد النحوى الذى يشبع رغبته فى تفهم دقائق النحو وعويص مسائله ، وان كان يونس يقول : أول من تعلمت منه النحو حماد بن سلمة . وذلك أن النحو كان كل يوم تظهر فيه أبواب جديدة ، وقد يجمد النحوى القديم على ما يعرف فيغيب عنه ما يجد منها .

وأخذ النحو عن عيسى بن عمر ( ١٤٩ هـ ) ويونس ابن حبيب ( ١٨٣ هـ ) والأخفش الكبير أبى الخطـــاب

---

(٨) ص ٦٦ .

(٩) معجم الادباء ١٢ ـ ١٦٩ .

عبد الحميد بن عبد المجيد . ويذكر أبو زيد الأنصاري ( ٢١٥ هـ ) أن سيبويه أخذ عنه ، وأنه اذا قال سيبويه : أخبرني الثقة فانما يعنيه ، وأخذ عن غيرهم . ويقول في الكتاب ٤٢٠٢ : « هذا قول يونس والخليل ومن رأينا من العلماء » ويذكر في القراءات ممن أخذ عنهم هارون . يقول في الكتاب ٢ ـ ٤٢١ : « وحدثنا هارون أن بعضهم قرأ : فلا (١٠) جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا » وهو هارون بن موسى الأعور ، كان أول من سمع بالبصرة وجوه القراءات وألفها وتتبع الشاذ منها . وقد توفي (١١) قبل المائتين . وكان أكثر تلقيه عن الخليل ، حتى انه اذا قال في كتابه : قال أو سألته فانه يعني الخليل . وكان الخليل قد عرف له قدره وثقابة ذهنه وقوة فطنته فأبثه علمه ونصح له في التعليم . ويقول (١٢) بعض من كان يغشى الخليل : كنت عند الخليل فأقبل سيبويه فقال : مرحبا بزائر لا يمل . ويقول الراوي : وما سمعت الخليل يقولها لغيره .

وكان سيبويه في أخذه عن شيوخه مستقل الفكر ينقد ما يقولونه ببصيرة نفاذة ، ويناقشهم مناقشة الجهيد الخبير ، فكان بعضهم يخشى مساءلته . حدث (١٣)

---

(١٠) الآية ١٢٨ سورة النساء .
(١١) انظر طبقات ابن الجزري ٢ ـ ٣٤٨ .
(١٢) طبقات الزبيدي ٦٨ .
(١٣) معجم الادباء ١٦ ـ ١٢٦ .

الأخفش قال : كنت عند يونس فقيل له : قد أقبل سيبويه . فقال : أعوذ بالله منه ! فجاء فسأله فقال : كيف تقول : مررت به المسكين ؟ فقال : جائز أن أجره على البدل من الهاء . فقال له : فمررت به المسكين ـ بالرفع ـ على معنى : المسكين مررت به ؟ فقال : هذا خطأ لأن المضمر قبل الظاهر . فقال له : ان الخليل أجاز ذلك وأنشد فيه أبياتا . فقال : هو خطأ . قال : فمررت به المسكين ـ بالنصب ـ ؟ فقال : جائز . فقال : على أى شيء ؟ فقال : على الحال . فقال سيبويه : أليس أنت أخبرتنى أن الحال لا تكون بالألف واللام . فقال : صدقت . ثم قال لسيبويه : فما قال صاحبك فيه ؟ ـ يعنى الخليل ـ فقال سيبويه : قال لى : انه ينصب على الترحم . فقال : ما أحسن هذا ! ورأيته مغموما بقوله : نصبته على الحال » . وكان سيبويه مع اجلاله للخليل يمتحن رأيه بموافقة العرب أو مخالفته . يقول فى الكتاب ١ ـ ٢٧٤ : « والذى ذكرت لك قول الخليل . ورأينا العرب توافقه بعد ما سمعناه منه » . بل نراه يزيف قوله . ففى الكتاب ١ ـ ١٨١ : « وزعم الخليل أنه يجوز أن يقول الرجل : هذا رجل أخو زيد اذا أردت أنى تشبهه بأخى زيد . وهذا قبيح ضعيف لا يجوز الا فى موضع الاضطرار . ولو جاز هذا لقلت : هذا قصير الطويل تريد : مثل الطويل ، فلم يجز هذا كما قبح أن تكون المعرفة حالا كالنكرة الا فى الشعر » .

أستاذية سيبويه : لقد استوى علم العربية عند سيبويه ، وصار فى ميعة شبابه وفى حياة شيوخه أستاذا له حلقة وأصحاب ، واشتهر فى البصرة بالامامة . يقول محمد بن سلام : « كان (١) سيبويه النحوى جالسا فى حلقته بالبصرة ، فتذاكرنا شيئا من حديث قتادة ، فذكر حديثا غريبا ، وقال : لم يرو هذا الا سعيد بن أبى العروبة . فقال له بعض ولد جعفر بن سليمان : ما هاتان الزيادتان يأبا بشر ؟ يريد الألف واللام فى العروبة . فقال : هكذا يقال ، لأن العروبة هى الجمعة . ومن قال : عروبة فقد أخطأ » . وقال ابن عائشة : « كنا (١٤) نجلس مع سيبويه النحوى فى المسجد ، وكان شابا جميلا نظيفا قد تعلق من كل علم بسبب ، وضرب فيه بسهم ، مع حداثة سنه وبراعته فى النحو . فبينما نحن عنده ذات يوم اذ هبت ريح أطارت الورق ، فقال لبعض أهل الحلقة : انظر أى ريح هى ؟ وكان على منارة المسجد تمثال فرس من صفر ، فنظر ثم عاد فقال : ما يثبت الفرس على شىء . فقال سيبويه تقول : العرب فى مثل هذا : تذاءبت الرياح أى فعلت فعل الذئب ليختل فيتوهم الناظر أنه عدة ذئاب » .

نعت سيبويه : كان شابا جميلا نظيفا حسن الثياب كما فى وصف ابن عائشة السابق . وكان فى لسانه حبسة أو لكنة . وذلك من أثر فارسيته . وكان ذلك مما يجعل

---

(١٤) الزبيدى ٦٧ .

لصاحبه الغلبة عليه فى المناظرة . ولقد تناظر هو والاصمعى ، فغلبه الأصمعى ، فقال يونس : الحق مع سيبويه ، وهذا ـ أى الأصمعى ـ يغلبه بلسانه . وكانت (١٥) هذه المناظرة فى الأبيات التى أوردها سيبويه فى كتابه ، فقد فسر الأصمعى بعضها على خلاف ما فسر سيبويه . ويقول بعض من ذكره : « عمرو بن (١٦) عثمان قد رأيته . وكان حدث السن ، كنت أسمع فى ذلك العصر أنه أثبت من حمل عن الخليل . وقد سمعته يتكلم ويناظر فى النحو . وكانت فى لسانه حبسة . ونظرت فى كتابه فرأيت علمه أبلغ من لسانه » .

سيبويه والكسائى ، أو امامنا البصرة والكوفة : سبق أن الكسائى وأصحابه واتاهم الحظ والسعادة . ولقد حلوا فى بغداد محلا رفيعا . وكان منهم مؤدبو أولاد الخليفة . وكانوا عند البصريين فى النحو والأدب أقل منهم معرفة وأضعف أسبابا . وقد رأى سيبويه ـ وهو امام البصريين ـ أن يزاحمهم فى مركزهم عسى أن ينال علم البصرة ما يستحقه من انتشار ، وعلماؤها ما يستحقون من مجد . فأزمع أن يرحل الى بغداد ، وقصد البرامكة ، وعرض عليهم أن يجمعوا بينه وبين الكسائى ، ويناظره . وكان واثقا أن سيكون له الفلج والنصر . وبلغ الكسائى مقدم سيبويه ، وخشى

---

(١٥) معجم الادباء ١٦ ـ ١٢٥ .
(١٦) المرجع السابق ١١٨ .

مغبة المناظرة أن يزول سلطانه فى بغداد وسلطان أصحابه ، فاتى جعفر بن يحيى (١٧) بن برمك والفضل أخاه ، وقال : أنا وليكما وصاحبكما . وهذا الرجل انما قدم ليذهب محلى . قالا : فاحتل لنفسك فانا سنجمع بينكما . ويبدو أن فارسية سيبويه كان يقابلها فارسية الكسائى ، فهو أيضا فارسى من ولد بهمن بن فيروز ، وكان أسديا بالولاء ، فلم يكن لسيبويه ما يجعله أقرب الى قلوب البرامكة من الكسائى . وكان للكسائى بعد أنه امام بغداد فى النحو ومؤدب ولد الرشيد . وكانت حيلة الكسائى التى نبهه عليها البرمكيان أن دبر هو وأصحابه خطة كان لهما ما توقعوا . وهى أن يتقدمه فى مجلس المناظرة أصحابه فيسألوا سيبويه أسئلة ويتألبوا عليه فيها ، حتى اذا فترت همته وبان كلاله جاء الكسائى فوجد قرنا قد ذهب حده وزايله غرب نشاطه ، فكان له ما أراد من صرعه . وجاء اليوم الموعود للمناظرة وحضر أصحاب الكسائى وسيبويه وحده لا ظهير له . فأخذ الفراء والأحمر وابن سعدان من الكوفيين ينثالون عليه بالأسئلة ، وهو يجيبهم على مذهبه ، وهم يخطئونه اذ كان لا يوافق مذهبهم ، وضجر سيبويه ، وحضر الكسائى ومعه من الأعراب من ينتفعون به لجاهه عند السلطان ، وسأل الكسائى سيبويه كيف تقول : كنت أظن أن العقرب أشد لسعة من الزنبور فاذا هو هى أو فاذا هو اياها . ويجيب سيبويه بالتزام الصورة الأولى ، ويقرر

---

(١٧) الزبيدى ٦٨ وما بعدها .

الكسائى أن الصورتين جائزتان ، ويستشهد الأعراب الذين أحضرهم فيشهدون له ، وينتهى المجلس بغلبة الكسائى . ويمنح البرمكى سيبويه عشرة آلاف درهم ، ويعود سيبويه من بغداد منكسر النفس كميدا . ويقال : انه ذهب الى مسقط رأسه البيضاء حيث أدركته منيته سنة ١٨٠ هـ فى أظهر الأقوال . ويقال ان موته كان على أثر فساد فى المعدة وحزن بليغ لاخفاقه فى اعلاء علم البصرة وتسويده . وقد كان له من حسن الذكر بعده ومن ارتفاع مذهب البصرة ما يعوضه عما فقده . ويروى أنه لما اغتل وضع رأسه فى حجر أخيه ، فبكى أخوه فقطرت من دمعه قطرة على وجهه فرفع سيبويه رأسه فرآه يبكى فقال :

أخيين كنـــا فرق الدهر بيننـــا
الى الأمر الأقصى ومن يأمن الدهرا !

## ٢ ـ كتاب سيبويه

هذا هو الكتاب الخالد الذى جمع العربية فى ترتيب لم يعهد من قبل . ويقول صاعد الأندلسى فى طبقات (١٨) الأمم فى الحديث عن المجسطى : « ولا أعرف كتابا ألف فى علم من العلوم قديمها وحديثها فاشتمل على جميع ذلك العلم وأحاط بجميع أجزاء ذلك الفن غير ثلاثة كتب .

(١٨) ص ٤٦ طبعة مطبعة السعادة .

أحدها كتاب المجسطى هذا فى علم الهيئة والفلك وحركات النجوم . والثانى كتاب أرسطاطيس فى علم صناعة المنطق . والثالث كتاب سيبويه البصرى فى علم النحو العربى . فان هذه الكتب الثلاثة لا يشذ عن كل واحد منها من أصول علمه ولا من فروعه الا ما لا خطر له » وقد بلغ من جلالته أنه اذا أطلق الكتاب فى النحو والصرف انصرف الى كتاب سيبويه .

وليس لدينا فى العربية كتاب قبله . وقد (١٩) قيل : ان عيسى بن عمر ألف قبل سيبويه كتابين فى النحو هما الا كمال والجامع ، وان الخليل قال فيهما :

بطل النحو جميعا كله غير ما أحدث عيسى بن عمر
ذاك اكمال وهذا جامع وهما للناس شمس وقمر

ويقول السيرافى : ولم يقعا الينا ولا رأينا أحدا ذكر أنه رآهما . والأقرب أن هذا الحديث فرية وضعها الكوفيون ليوقعوا فى النفوس أن سيبويه استفاد من هذين الكتابين ، والكتاب بين أيدينا ، وهو يروى فيه عن شيوخه ومنهم عيسى بن عمر — وروايته فيه قليلة — وهو يروى عنه بسماعه لا من كتابه . وأعظم فرية من هذا قول ثعلب الكوفى المتعصب : « اجتمع (٢٠) على صنعة كتاب سيبويه

(١٩) البغية . ٢٧ .
(٢٠) فهرست ابن النديم .

أربعون السانا منهم سيبويه . والأصول والمسائل للخليل . والكتاب بأيدينا صنعة عبقرى واحد ، ولا يشتم منه تعدد . وانما هو جسد الكوفيين أعمى بصائرهم . وكأن هذا الافتراء من الكوفيين أحدث شكا عند بعض الناس ، فسأل الأعلم الشنتمرى عن هذا وعن أمور تتعلق بسيبويه ، فكان من جوابه : « وأما (٢١) كتابه الجارى بين الناس فلم يصح انه أنشأه من كتاب آخر قبله » .

والثناء على الكتاب كثير . ويقول أبو جعفر النحاس : لم يزل أهل العلوم يفضلون كتاب سيبويه ، حتى لقد قال محمد بن يزيد ـ هو المبرد ـ : لم يعمل كتاب فى علم من العلوم مثل كتاب سيبويه . وذلك أن الكتب المصنفة فى العلوم مضطرة الى غيرها ، وكتاب سيبويه لا يحتاج من فهمه الى غيره . وقال (٢٢) الجرمى : أنا منذ ثلاثين سنة أفتى الناس فى الفقه من كتاب سيبويه . قال المبرد : وذلك أن أبا عمر الجرمى كان صاحب حديث . فلما علم كتاب سيبويه تفقه فى الحديث ، اذ كان كتاب سيبويه يتعلم منه النظر والتفتيش ، ثم ينظر فى السنن المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . فبها يصل الطالب الى مراد الله عز وجل فى كتابه . وهى تفتح له أحكام القرآن فتحا .

---

(٢١) حاشية ابن سعيد على الاشمونى ٢ ـ ٧٢ .
(٢٢) الزبيدى ٧٧ .

تأليف الكتاب : في طبقات النحاة لابن قاضي شهبة رواية عن أبي علي الفارسي ، ولم يذكر المؤلف الراوي . والرواية هي : (٢٣) « وهو قد عقد كتابه وصنف أوائل أبوابه في جزازات وقطع . فلم يكن يقبل على الجارية ولا يشتغل بها وهي مشغوفة بحبه ، ولم يكن يشغله الا النظر والسهر والكتب . فرصدت خروجه الى السوق في بعض حوائجه ، وأخذت جذوة نار فطرحتها في الكتب حتى احترقت . فرجع سيبويه فنظر الى كتبه وهي هباء فغشي عليه أسفا ، ثم أفاق فطلقها ، ثم أنشأ الكتاب بعد ذلك ثانية . قال لنا أبو علي : وذهب منه علم كثير أخذه عن الخليل فيما أحرق له » . وفي النفس من هذه الرواية شيء ، فالكتاب كامل لا ينقص شيئا .

وأيا ما كان الأمر فقد تم الكتاب في حياة سيبويه ، ولكنه لم يشهره ، اذ وافاه حمامه قبل أن يرويه أصحابه ويذكر (٢٤) أن ابراهيم بن سفيان الزيادي قرأ عليه ، ولكن لم يتمه . وكان أخص الناس بسيبويه أبو الحسن الأخفش سعيد بن مسعدة ( ٢١٠ هـ ) .

وكان سيبويه يعرض عليه كتابه . وهو يقول في ذلك : ما وضع سيبويه في كتابه شيئا الا وعرضه على ،

---

(٢٣) ج ٢ ٢١٠ .
(٢٤) البغية ١٨٢ .

وكان يرى أنه أعلم به مني ، وأنا اليوم أعلم منه . وكأنه يريد ما تجدد له من نظر يخالف فيه رأى سيبويه . ولا يزال البصريون يرجحون آراء سيبويه على ما خالفه فيه الأخفش . وقد روى الأخفش الكتاب كملا عن سيبويه . ويبدو أن سيبويه تركه عنده حين رحل الى بغداد . وكان الأخفش يكثر الثناء على الكتاب عند الجرمي والمازني فخشيا أن ينسبه الى نفسه اذ لم يكن معروفا عند الناس ، فعرضا عليه أن يرويهما الكتاب ، فأخذاه عنه ، وانتشر الكتاب واشتهر .

وصف الكتاب : يقع الكتاب في أكثر من تسعمائة وعشرين صفحة من القطع الكبير . وقد جرى التقسيم فيه الى أبواب ، ولا نرى فيه كتبا ولا فصولا . وهو يكثر من الأبواب للمبحث الواحد بحسب تنوع ما يجرى فيه البحث . فيذكر مثلا عدة أبواب للفاعل . فباب للفاعل الذي يتعداه فعله الى مفعول . وباب للفاعل الذي يتعداه فعله الى ثلاثة مفعولين . وهكذا تمضي الأبواب والبحوث .

ويقع الكتاب في جزأين . الأول في مباحث نحوية . والثاني فيه مباحث الممنوع من الصرف ، ومباحث النسب والاضافة ، ومباحث التصغير وبقية مباحث التصريف . ويبتدىء الكتاب بتقسيم الكلمة الى اسم وفعل وحرف . وينتهي بمباحث مخارج الحروف والادغام . وليس للكتاب

خطبة ولا خاتمة . وقد علل هذا بأن سيبويه تخرم قبل أن يضع له الخطبة والخاتمة ، كما لم يضع له اسما خاصا .

ويحوى الكتاب مع مباحث النحو والصرف مباحث العربية بوجه عام . ففى تضاعيفه مباحث عن المجاز ، وعن طرف من المعانى ، وعن وجوه انشاد الشعر وضروراته ، وعن تعريف الكلمات الأعجمية . وفيه قدر صالح من مباحث الأصوات العربية .

العناية بالكتاب : اهتم النحاة بالكتاب وصار عماد درسهم . وكان جهابذة البصريين يقرئون الكتاب . وممن اشتهر باقرائه المبرد والزجاج والمازنى ، وأبو بكر مبرمان كان (١٥) يقرىء الكتاب بمائة دينار .

وممن بالغ فى الاهتمام به أهل الأندلس . ويقول أبو حيان فى البحر المحيط ١ ـ ٣ فى الحديث عن أهل الأندلس : « ومما برعوا فيه علم الكتاب ، انفردوا باقرائه منذ أعصار دون غيرهم من ذوى الألباب . أثاروا كنوزه ، وفكوا رموزه ، وقربوا قاصيه ، وراضوا عاصيه ، وفتحوا مقفله ، وأوضحوا مشكله ، وأنهجوا شعابه ، وذللوا صعابه ، وأبدوا معانيه فى صورة التمثيل ، وأبدعوه بالتركيب

---

(٢٥) البغية ٧٤ .

والتحليـــل .. فالكتـــاب (٢٦) هو المرقاة الى فهـــم الكتاب (٢٧) ، اذ هو المطلع على علم الاعراب » .

هل أدخل فى الكتاب ما ليس منه : كثرت نسخ الكتاب ، وكان بعضها يكتبه الوراقون ، ولا يتحرى فيه الرواة عن الثقات ، وكان فى بعض النسخ حواش على الكتاب فيلحقها الناسخ بمتن الكتاب . وفى الأشباه (٢٨) والنظائر للسيوطى أنه ألحقت حواش من كلام الأخفش وغيره بالكتاب . ويقول الزمخشرى فى المفصل فى مبحث الاضافة : « وما يقع فى بعض نسخ الكتاب من قوله :

فزججتها بمزجة  زج القلوص أبى مزاده

فسيبويه برىء من عهدته » وفى النسخة المطبوعة للكتاب (٢٩) « وزعم الخليل أن قولهم : ظريف وظروف لم يكسر على ظريف ، كما أن المذاكير لم تكسر على ذكر ، وقال أبو عمر : أقول فى ظروف : هو جمع ظريف كسر على غير بنائه وليس مثل مذاكير . والدليل على ذلك أنك اذا صغرت قلت : ظريفون ولا تقول ذلك فى مذاكير » وأبو عمر هو صالح بن اسحاق الجرمى وقد قيل انه رأى

(٢٦) اى كتاب سيبويه .
(٢٧) اى القرآن الكريم .
(٢٨) جـ ٤ ص ٢٥ .
(٢٩) جـ ٢ ص ٢٠٨ .

سيبويه ولم يأخذ عنه . وقد كانت هذه حاشية فى نسخة الجرمى فالحقها الناسخ بالكتاب وتابعه النساخ . وفى اللسان ( فقد ) جاء البيت :

اذا فاقد خطباء فرخين رجعت
ذكرت سليمى فى الخليط المباين

وفيه عقبه : « قال ابن سيده : هكذا أنشده سيبويه بتقديم خطباء عيى فرخين » ولم يوقف على هذا البيت فى الكتاب ، فيبدو أنه كان فى نسخة ابن سيده . وفى المخصص ١٢٤/١٦ أن الذى ذكر البيت أبو على الفارسى .

منهج سيبويه فى الكتاب واحتجاجه : يأخذ سيبويه فى المسألة من النحو أو الصرف أو وجوه العربية ، فيؤصلها ويذكر ما أثر فيها عن الخليل وغيره ، ويعلل كل وجه فيها . وهو فى ذلك ينم عن عبقرية نادرة وعن المام تام بمزاج العربية وروحها ويذكر الشبيه للمسألة والمباين لها . وهو وهو يحتج بما يسمع من كلام العرب نثره وشعره وبقراءات القرآن . وقد أخذ القراءة عن أبى عمرو بن العلاء ، وذكره ابن الجزرى فى القراء (٣٠) وهو يقول فى الكتاب ١ ـ ٧٤ : « وقد قرأ بعضهم : وأما ثمود فهديناهم ـ يريد نصب ثمود ـ الا أن القراءة لا تخالف لأنها السنة » .

(٣٠) غاية النهاية رقم ٢٤٥٩ .

ولا نراه يستشهد بالحديث ، مع أنه (٣١) أخذ الحديث عن الخليل . وقد علمنا أنه أخذ بعض الحديث عن حماد بن سلمة المحدث الكبير . ونراه يقول : « وأما (٣٢) قولهم : كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يهودانه وينصرانه ففيه ثلاثة أوجه » ونراه أورده هكذا منسوبا الى العرب . وجاء في الجامع الصغير حديثا بلفظ « كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » وقال الشارح : « حديث صحيح » وكأن ذلك لأن هذا اللفظ الذى استشهد به ليس لفظ الحديث وأن بعض العرب رواه على سجيته . وجاء في الكتاب ١ ـ ١٣٠ : « وذلك قولك : الناس مجزيون بأعمالهم ان خيرا فخيرا وان شرا فشرا » ومن (٣٣) العلماء من يجعله حديثا ، ومنهم من لا يجعله حديثا ، وان كان معناه مما ورد فيه حديث .

ويكثر في الكتاب ذكر سماعه عن العرب فيقول : « وحدثنا (٣٤) بعض العرب أن رجلا من بنى أسد قال يوم جبلة واستقبله بعير أعور فتطير منه فقال : يا بنى أسد

---

(٣١) تاريخ بغداد ١١ ـ ٣٢٦ .

(٣٢) الكتاب ١ ـ ٣٩٦ .

(٣٣) انظر الصبان في مبحث حذف كان .

(٣٤) الكتاب ١ ـ ١٧٢ .

أعور وذاناب ! » . ويقول : « وسمعنا (٣٥) من يقول : كجالب التمر الى هجر يا فتى » . وقد يعتمد فى الرواية على غيره فيقول : « وزعم أبو الخطاب أنه سمع بعض العرب الموثوق بعربيتهم ينشد هذا البيت :

أتوعدنى بقومك يا بن حجل
أشـــابات يخالون العبـــادا

بما جمعت من حضن بن عمرو
وما حضـــن وعمرو والجيـــادا

وشواهده الشعرية تبلغ خمسين وألف بيت . ويقول الجرمى : « نظرت (٣٦) فى كتاب سيبويه فاذا فيه ألف وخمسون بيتا . فأما الألف فعرفت أسماء قائلها . وأما الخمسون فلم أعرف قائلها » . وقد عرف (٣٧) الشنقيطى الكبير محمد محمود بن التلاميذ واحدا منها . وهو قوله :

أفبعد كندة تمدحن قبـــلا

ورد هذا الشطر فى الكتاب ٢ ـ ١٥١ . ووقف الشنقيطى على أنه لامرىء القيس وصدر البيت

قالت فطيمة حل شـــعرك مدحه

---

(٣٥) الكتاب ٢ ـ ٢٢ .
(٣٦) الزبيدى ٧٧ .
(٣٧) انظر ج ١ ص ج ٢٩ عن الخزانة طبعة السلفية .

وهو فى نسخة الديوان بتحقيق الأستاذ محمد أبى
لفضل فى ص ٣٥٨ . على أن الناظر فى الكتاب يقفه قوله
يل الشطر : « وقال مقنع » والظاهر أن هذا اسم الشاعر ،
من المعروفين بهذا الاسم المقنع الكندى ، فلا يكون اذا من
لأبيات التى لا يعرف قائلها ، فاذا كان هذا العزو خطأ كان
ه مقام آخر .

ويذكر فى سبب إغفال سيبويه أسماء شعرائه أن
لبيت قد تعتوره نسبتان وأكثر ، فينسب الى شاعر فى
وطن ، والى آخر فى آخر ، ولا تكون الرواة على ثقة من
حدهما . وقد وقع هذا فى عمل الجرمى الذى استمر عليه
لكتاب . فالبيت :

مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة
ولا ناعب الا ببين غرابها

نسب فى الكتاب ١ ـ ٨٣ ، ١٥٤ للأخوص الرياحى
نسب للفرزدق فى ١ ـ ٤١٨ .

والبيت :

بدا لى أنى لست مدرك ما مضى
ولا سابقا شيئا اذا كان جائيا

نسب الى زهير فى ١ ـ ٨٣ ، ونسب الى صرمة بن قيس الأنصارى فى ١ ـ ١٥٤ ، وان كانت الرواية الأخيرة ( سابق ) بالجر .

وسيبويه قد يكرر الشاهد للاستشهاد به فى حكمين اعرابيين ، كما فى بيت زهير وصرمة . وهو يحتج بالرواية عن العرب الموثوق بعربيتهم وان كانت الرواية مغيرة عن الأصل . فقد جاء فى الكتاب ١ ـ ٤٢٨ لزياد الأعجم :

وكنت اذا غمزت قناة قوم
كسرت كعوبها أو تستقيما

فقال شارح أبيات الايضاح : وقع (٣٨) هذا البيت فى قصيدة لزيادة الأعجم غالبها مرفوع القوافي وبعضها مجرورها . وقال الزمخشرى فى شرح أبيات الكتاب : أبيات القصيدة غير منصوبة وانما أنشده سيبويه منصوبا لأنه سمعه هكذا ممن يستشهد بقوله .

وقد ينشد سيبويه البيت مركبا من بيتين لأنه سمعه هكذا . فقد جاء فى الكتاب ١ ـ ٣٥٦ قول الشاعر :

---

(٣٨) انظر حاشية الصبان لى الأشمونى فى مبحث اعراب الفعل .

ورد جازرهم حرفـــا مصرمـــة
ولا كريم من الولدان مصبوح

وهو مركب من بيتين ـ كما فى اللسان ( صرر ) ـ هما :

اذا اللقاح غدت ملقى أصرتهـا
ولا كريم من الوالدان مصـــبوح

ورد جازرهم حرفـــا مصرمـــة
فى الرأس منها وفى الأصلاء تمليح

نقد الكتاب : لم يسلم الكتاب ـ على جلالته ـ من النقد . ولقد نقده من كان من أكثر الناس اجلالا له وتنويها بشأنه ، وهو المبرد ، فلقد كتب كتابا فى نقده سماه مسائل الغلط . على أن الثابت أنه رجع عما رآه فى الكتاب ، وقال : « هذا (٣٩) شيء كنا رأيناه فى أيام الحداثة ، وأما الآن فلا » . وقد تصدى للرد على المبرد فى مسائل الغلط ابن ولاد فى كتاب سماه الانتصار وقد عرفنا نقد المبرد من هذا الكتاب ، اذ كان من منهجه أن يورد لفظ المبرد فى رده على سيبويه ، ثم يكر عليه بالرد والانتصار لسيبويه . وهو مخطوط فى دار الكتب . ويجعل ابن ولاد عنوان كل نقدة « مسألة » وجملة مسائله ثلاث وثلاثون ومائة .

(٣٩) الخصائص ١ ـ ٢٠٦ .

ومن أمثلة ذلك أن سيبويه فى الكتاب يرى أنه لا يتقدم التمييز على ناصبه . ففى قولك : امتلأ الاناء ماء لا يقال : ماء امتلأ الاناء . فيرد عليه المبرد بأن التمييز عند سيبويه كالحال ، وهو يجيز تقدم الحال على عاملها الفعل . فقياسه أن يجوز تقديم التمييز على عامله الفعل . ويرد عليه ابن ولاد فى المسألة الحادية والعشرين بأن التمييز لا يشبه الحال فى كل حال . فهو يخالف الحال فى أن التمييز فى نحو طاب زيد نفسا أصله فاعل ، ومن شأن الفاعل ألا يقدم على فعله . وما لم يكن التمييز فيه فاعلا حمل على ما التمييز فه فاعل . وفى الكتاب ١ ـ ٢٣٥ : « وقال بعض العرب : قال فلانة » فقال المبرد : هذا خطأ لم يوجد فى قرآن ولا كلام فصيح ولا شعر . فقال ابن ولاد فى المسألة السادسة والأربعين : « هذا كلام ظاهر الفساد بين الاختلال : وذلك أنه حكى عن سيبويه أنه روى عن بعض العرب : قال فلانة ثم خطأه فى ذلك . وهذا موضع التكذيب فيه أشبه من التخطئة ، لأنه ليس بقياس قاسه فيرد عليه ويخطأ فيه . وانما ذكر أن بعض العرب قال ذلك . فان كانت التخطئة لمن قال ذلك من العرب فهذا رجل يجعل كلامه فى النحو أصلا وكلام العرب فرعا . فاستجاز أن يخطئها اذا تكلمت بفرع يخالف أصله » .

عبارة الكتاب : عبارة سيبويه فيها شىء من الغموض لدقة أفكاره وتعليلاته . وتحتاج فى معظمها الى تفهم وجهد .

ومن ثم احتاج الكتاب الى الشروح . فشرحه أبو سعيد السيرافى والرومانى وغيرهما . وشروحه كلها لا تزال مخطـــوطة .

نسخ الكتاب : نسخ الكتاب المخطوطة فى المكاتب العامة كثيرا ، ومنها النسخة ( ١٤٠ نحو ) فى دار الكتب وهى فى مجلد واحد . وقد طبع فى باريس فى مجلدين فى سنتى ١٨٨١ ـ ١٨٨٥ م ، وطبع فى برلين فى مجلدين أيضا فى سنتى ١٨٩٤ ـ ١٩٠٠ مع ترجمة ألمانية ، وطبع فى كلكتا فى مجلدين فى سنة ١٨٨٧ مع شرح الشواهد للأعلم . وطبع فى بولاق مع شرح الشواهد للأعلم فى جزأين فى سنتى ١٩١٦ ، ١٩١٧ . وهذه الطبعة هى التى نحيل عليها فى هذا البحث .

## ٣ ـ نماذج من الكتاب

١ ـ ( هذا (٤) باب ما ينتصب على اضمار الفعل المتروك اظهاره من المصادر فى غير الدعاء ) من ذلك قولك : حمدا وشكرا لا كفرا ، وعجبا ، وأفعل ذلك وكرامة ، ومسرة ، ونعمة عين ، وحبا ، ونعام عين ، ولا أفعل ذلك ولا كيدا ولا هما ، ولأفعلن ذلك ورغما وهوانا . فانما

---

(٤٠) الكتاب ١ ـ ١٦٠ .

ينتصب هذا على اضمار الفعل ، كأنك قلت : أحمد الله حمدا ، وأشكر الله شكرا • وكأنك قلت : أعجب عجبا ، وأكرمك كرامة ، وأسرك مسرة ، ولا أكاد كيدا ، ولا أهم هما ، وأرغمك رغما • وانما اختزل (٤١) الفعل ههنا لأنهم جعلوا هذا بدلا من اللفظ بالفعل ، كما فعلوا ذلك فى باب الدعاء كان قولهم : حمدا فى موضع أحمد الله ، وقوله : عجبا فى موضع أعجب منه ، وقوله : ولا كيدا فى موضع ولا أكاد ولا أهم • وقد جاء بعض هذا رفعا يبتدأ ثم يبنى عليه (٤٢) • وزعم (٤٣) يونس أن رؤبة بن العجاج كان ينشد هذا البيت رفعا ، وهو لبعض مذحج ( وهو (٤٤) هنى بن أحمر الكنانى ) :

عجب لتلك قضـــية واقامتى
فيكم على تلك القضـــية أعجب

وسمعنا بعض العرب الموثوق به يقـــال له : كيف أصبحت ؟ فيقول : حمد الله وثناء عليه ، كأنه يحمله على مضمر فى نيته هو المظهر ، كأنه يقول : أمرى وشـــأنى

(٤١) أى حذف •
(٤٢) أى يؤتى بعده بخبره •
(٤٣) يريد الزعم الرأى والقول ، ولا يريد وهينة •
(٤٤) كذا وكنانة ليست من مذحج فيما يعرف ؛ فمذحج يمنية وكنانة حجازية • وفى نسبة البيت اختلاف كثير • وانظر خزانة الأدب ) السلفية ) ٢ ـ ٣٢ •

حمد الله وثناء عليه . ولو نصب لكان الذى فى نفسه الفعل ولم يكن مبتدأ ليبنى عليه ، ولا ليكون مبنيا على شىء هو ما أظهر . وهذا مثل بيت سمعناه من بعض العرب الموثوق به يرويه :

فقالت حنان ما أتى بك ههنا
أذو نسب أم أنت بالحى عارف

لم ترد : تحنن ، ولكنها قالت : أمرنا حنان أو ما يصيبنا حنان . وفى هذا المعنى كله معنى النصب . ومثله فى أنه على الابتداء وليس على فعل قوله عز وجل ( قالوا معذرة الى ربكم ) لم يريدوا (٤٥) أن يعتذروا اعتذارا مستأنفا من أمر ليموا عليه ، ولكنهم قيل لهم : لم تعظون قوما ، قالوا موعظتنا معذرة الى ربكم ، ولو قال رجل لرجل : معذرة الى الله واليك من كذا وكذا يريد اعتذارا لنصب .. » .

٢ ـ ( هذا (٤٦) باب ما يضاف الى الأفعال من الأسماء ) يضاف اليها أسماء الدهر . وذلك قولك : هذا

---

(٤٥) ليس عند سيبويه فى القراءة الا رفع ( معذرة ) . وقد جاء النصب فى رواية حفص عن عاصم ، ولم يقف عليها سيبويه . وهذا فى الآية ١٦٤ سورة الأعراف .

(٤٦) الكتاب ١ ـ ٤٦٠ .

يوم يقوم زيد ، وآتيك يوم يقول ذاك ، وقال الله ـ عز وجل ـ : ( هذا (٤٧) يوم لا ينطقون ) و ( هذا (٤٨) يوم ينفع الصادقين صدقهم ) . وجاز هذا في الأزمنة واطرد فيها ، كما جاز للفعل أن يكون صفة . وتوسعوا بذلك في الدهر لكثرته في كلامهم ، فلم يخرجوا الفعل من هذا كما لم يخرجوا الأسماء من ألف الوصل ، نحو ابن ، وانما أصله للفعل وتصريفه . ومما يضاف الى الفعل أيضا قولك : ما رأيته منذ كان عندي ، ومنذ جاءني . ومنه أيضا آية . قال :

بآية تقدمون الخيل شعثا
كأن على سنابكها مداما

وقال يزيد بن عمرو بن الصعق :

ألا من مبلغ عني تميما
بآية ما تحبون الطعاما

فما لغو ... وسألته ـ يعني الخليل ـ عن قوله في الأزمنة : كان ذاك زمن زيد أمير ، فقال : لما كانت في

---

(٤٧) الآية ٣٥ سورة المرسلات .
(٤٨) الآية ١١٩ سورة المائدة .

معنى اذ (٤٩) أضافوها الى ما قد (٥٠) عمل بعضه في بعض كما يدخلون اذ على ما قد عمل بعضه في بعض ، ولا يغيرونه شبهوا هذا بذلك . ولا يجوز هذا في الأزمنة حتى تكون بمنزلة اذ . فان قلت : يكون هذا يوم زيد أمير كان خطأ . حدثنا بذلك يونس عن العرب ، لأنك لا تقول : يكون هذا اذا زيد أمير . جملة هذا الباب أن الزمان اذا كان ماضيا أضيف الى الفعل والى الابتداء والخبر ، لأنه في معنى اذ فأضيف الى ما يضاف اليه اذ ، واذا كان لما لم يقع لم يضف الا الى الأفعال ، لأنه في معنى اذا ، واذا هذه لا تضاف الا الى الأفعال » .

٣ ـ ( هذا (٥١) باب تسمية المؤنث ) أعلم أن كل مؤنث سميته بثلاثة أحرف متوال منها حرفان بالتحريك لا ينصرف . فان سميته بثلاثة أحرف فكان الأوسط منها ساكنا وكانت شيئا مؤنثا أو اسما الغالب عليه المؤنث كسعاد فأنت بالخيار : ان شئت صرفته ، وان شئت لم تصرفه . وترك الصرف أجود . وتلك الأسماء نحو قدر وعنز ودعد وجمل ونعم وهند . وقد قال الشاعر فصرف ذلك ولم يصرفه :

---

(٤٩) أى يراد به المضى .

(٥٠) يريد الجملة .

(٥١) للكتاب ٢ ـ ٢٢ .

لم تتلفع بفضـــل مئزرهـــا
دعد ولم تغذ دعد في العـلب

فصرف ولم يصرف . وانما كان المؤنث بهذه المنزلة ولم يكن كالمذكر لأن الأشياء كلها أصلها التذكير ثم تختص بعد . فكل مؤنث شيء والشيء يذكر . فالتذكير أول ، وهو أشد تمكنا ، كما أن النكرة هي أشد تمكنا من المعرفة ، لأن الأشياء انما تكون نكرة ثم تعرف . فالتذكير قبل ، وهو أشد تمكنا . فالأول أشد تمكنا عندهم . فالنكرة تعرف بالألف واللام والاضافة وأن يكون علما ، والشيء يختص بالتأنيث فيخرج من التذكير كما يخرج المنكور الى المعرفة . فان سميت المؤنث بعمرو أو زيد لم يجز الصرف . هذا قول أبي اسحاق وأبى عمرو فيما حدثنا يونس . وهو القياس . وكان عيسى يصرف امرأة اسمها عمرو لأنه على أخف الأبنية » .

٤ ـ ( هذا (٥٢) باب ما كان من الأعجمية على أربعة أحرف وقد أعرب فكسرته على مثال مفاعل ) .

زعم الخليل أنهم يلحقون جمعه الهاء الا قليلا . وكذلك وكذلك وجدوا أكثره فيما زعم الخليل . وذلك موزج (٥٣)

---

(٥٢) الكتاب ٢ ـ ٢٠١ .
(٥٣) هو الخف .

وموازجة ، وصولج (٥٤) وصوالجة ، وكربج (٥٥) وكرابجة وطيلسان وطيالسة ، وجورب وجـــوارب . وقد قالوا : جوارب وكيالج (٥٦) ، جعلوها كالصوامع والكواكب . وقد أدخلوا الهاء أيضا فقالوا : كيالجة . ونظيره في العربية صيقل وصياقلة ، وصـــيرف وصيارفة ، وقشـــعم (٥٧) وقشاعمة ، فقد جاء اذا أعرب كملك وملائكة . وقالوا : أناسية لجمع انسان . وكذلك اذا كسرت الاسم وأنت تريد آل فلان أو جماعة الحي أو بني فلان . وذلك قولك المساعمة والمناذرة والمهالبة والأحامرة والأزارقة . وقالوا الدياسم وهو ولد الذئب ، والمعاول ، كما قالوا جوارب شبهوه بالكواكب حين أعرب ، وجعلوا الدياســـم بمنزلة الغيالم والواحد غيلم (٥٨) . ومثل ذلك الأشاعر . وقالوا البرابرة والسيابجة (٥٩) ، فاجتمع فيها الأعجمية وأنها من الاضافة ، انما يعنى البربريين والسيبجيين ، كما أردت بالمساعمة المسمعيين ، فأهل الأرض كالحي » .

(٥٤) هو القفة .

(٥٥) هو الحانوت .

(٥٦) جمع كيلجة للمكيال .

(٥٧) هو المسن من الناس والنسور

(٥٨) من معانيه الضفدع .

(٥٩) هم قوم من الهند والسند يكونون مع رئيس السفينة البحرية يهدونها الطريق .